**المحاضرة الخامسة:**

**مـــدرســـة بـــــراغ 2**

تميَّـــز الدرس اللساني الحديث والمعاصر بمرحلتين هامتين: **المرحلة البنيوية** والتي تبدأ بظهور كتاب " محاضـرات في علم اللغة العام"(1916م) لفردينان دي سـوسـير (F.de Saussure) حيث تعمل اللســانيات على دراســة اللغة لذاتها ولأجل ذاتها، فتدرس نســـــق اللـــــغة في علاقاته الترابطية (syntagmatique) والاسـتبدالية (paradigmatique) وبمعـــزل عن الخارج – لسـاني ( Extra – lingue)، بالإضافة إلى الثنائيات المعروفة عند دي سوسير.

**والمرحلة الثّـانية** جاءت نتيـجة لعجـز البنـيوية بشـتى اتجاهـاتها عن تلبية طموحات اللسانيات، وهـي مرحلة **لسانيات التلفُّظ والخطاب**، وإن لـم تهـمل نسـق اللـغة، إلا أنّـها ركَّزت اهتمامها على الخارج– لساني أي بمحيط التواصل.

وجــاءت التــداولية (La Pragmatique) ضمن هــذا السيــاق لتركِّــز على التوجُّه الاتصالي والوظيفي، فعدّت اللغة جهازا نفعيا يحقِّق الوظيفة التواصلية استنادا إلى عناصر متشابكة من **بنية النص** ومن **خارجها**.

**أولا: تداولية الدرجة الأولى:**

تتمثّل في دراسـة رموز التعبيرات المبهمة ضـمن ظروف اسـتعمالها. وتعتمد هذه التداولية السـياق الوجودي؛ المتمثّل في المخاطبين، ومعطيات الزمان والمكان. وتعكسها أعمال دارسي الإشارة والرمز، نحو بيرس، روسـل، قيومين، كودمان، رايشـباخ، بارهييل، بول كوشـي...وبعض إشـارات بنفنسـت في البعد الإشاري للزمن.

**ثانيا: نظريّة التلفّظ أو الملفوظية**

**1– ظهورها:**

1–1 **مصطلح الملفوظية:** أشار إلى مصطلح (Enonciation) اللساني **شارل بالي** (1865–1947) في كتابه اللسـانيات العامة واللسـانيات الفرنسـية، كما تحدّث أوسـتين عن دور الملفوظ الذي يقوم بوصـف وضعية معيّنة، أو بتعيين حدث.

2–1 **فكرة النظرية:** تقوم فكرة الملفوظية أسـاسـا على جهود بنفنسـت في شـرح ثنائية سـوسـير اللغة والكلام، التي عرفت احتجاجا من طرف اللسانيات الحديثة عموما؛ حيث انساق اللسانيون بداية من الستينيات إلى إعادة تأويل هذه الثنائية؛ مؤكدين بأنَّـــه في الملفوظية لا يؤخذ كل شيء من الفرد. وبيّن بنفنست أن ثمة فرقا عميقا بين اللغة بوصفها نظاما من الأدلة واللغة بوصفها ممارسة يضطلع بها الفرد، وهذا المستوى الأخير هو أساس تحليل الخطاب في نظره خلافا لمذهب سوسير.

3–1 **ظهور النظرية:** يؤرخ لها الدارســون من نهاية الخميســنيات؛ حيث بدأ يتّســع مجالها انطلاقا من التأملات المنهجية لبنفنســت وياكبســون. ولأنها تقوم على مفهوم الأداء الفردي للغة دون عزله عن شروط التفاعل الأخرى، فإنها نشأت من التداولية، ومن علاقة المتكلم باللغة.

4-1 **علاقتها بالتداولية:** يميّز دومينيك منغونو بين نشأة **نظرية التلفُّظ** وبين النشأة التداولية، فيقول:" تهتم النظريات الملفوظية التي هي أساسا عمل اللسانيين الأوربيين، بشكل خاص، بطرق الخطابات المؤداة وكيفيات توصيلها...بينما التداولية، فقد تطوّرت أساسا في المجال الأنجلوسكسوني حول إشكالية أفعال الكلام ". فهي في نظره تيار مواز للتداولية، وشهدت تطوّرا أكبر في السبعينيات؛ حيث عرفت دراسات كثيفة، مما جعل حقلها في اللسانيات الحديثة مستقلا، يتّضح في أعمال أتباع بنفنست وخلفه.

5-1 **علاقة نظرية التلفُّظ باللسانيات البنيوية:** لقد ساد إلى حدود السبعينات من القرن المنصرم **الاهتمامُ بالنحو كنظرية للقدرة الذهنية،** إذ لا يتجاوز الأمـر آنـذاك حدود ما يؤكّـد مصداقية **صورنة اللغة واعتبارِ مستعمليها نماذج مجردة.** وبعد هذه المرحلة فقدَ هذا التوجُّه سيطرته على الأبحاث اللسانية حيث ظهرت إلى الفضاء اللساني دراسات تجاوزت **القدرة إلى الإنجاز،** وأكّـدت على **قيام الذاتية في التواصل،** وقد دشنت أعمال Benveniste لهذا المشروع، يقول: " **إنه قبل العملية التلفظية لا يكـون اللسان إلاَّ إمكانيةً لِلِّسان** ". ويضيف: " **إن العملية التلفظية هي حيث يوظَّف اللسان بواسطة فعل الاستعمال**". فلم تعـد اللغة لذاتها هي موضوع البحث اللساني إذ أصبح الاهتمام منصبا على **التلفظ** وما يستتبعه. " **إننا في العملية التلفظية نأخذ بعين الاعتبار،** على التوالي، **الحدث نفسه، والسياق المقامي الذي يتحقق فيه، وآليات إتمامه**". إننا مع Benveniste نمرُّ **من لسـانيات اللغة إلى لسانيات التلفظ،** ثم إن هذا يحدد مؤشرات العبور إلى **لسانيات تداولية.**

تقوم التـداولية في جوهـرها على **معادلة** [أو تعديل] ثنـائية: اللغة/ الكلام (Langue/ parole)، إلى ثنائية (الملفوظ/التلفّظ) (Enoncé/ énonciation)، فلم تعد اللغة ذلك الكيان الثابت والمسـتقر في أذهان الجماعة اللغوية، ولكنها أصـبحت نشـاطا كلاميا. وهذه الفكرة الجديدة تجد سـندها في **لسـانيات التلفّـظ،** فهي لا تقـوم على فـكـرة التمـييز بين اللغة والكلام، في هذا النشاط تحدّد نقطتان: التلفُّظ (Enonciation): الفعل ذاته الذي ينتج عنه الكلام، والملفوظ (Enoncé) كنتيجة لذلك الفعل، فلا يعدو التلفُّظ أن يمثّل النشـاط الكلامي الذي يؤدّيه المتكلّم في اللحظة التي يتحدّث فيها، أي تلك الممارسـة التي ينسبها لذاته متفاعلا مع الآخر. فيكون التمييز " بين **الملفـوظ،** الذي يُقصد به ما يُقـال، و**التلفّـظ،** كفعلِ القولِ".

وهذا التحوّل جاء نتيجة لحرص اللسـانيات البنيوية على المقاربة العلمية لمسـتويات اللغة المختلفة وهذا ما جعلها تلاقي صـعوبات وإكراهات على المسـتوى الدلالي من أجل تفسـير وظائف الموجّهات المرتبطة بالمتحاورين كضـمائر المتكلم والمخاطَب (أنا، أنت) وظروف الزمان والمكان (الآن، هنا، هناك،...)، وهي الموجّهات التي تحيل على التلفُّظ ومكوّناته ووضعية المتلفّظ.

**2- تعريفات وحدود**

**1.2 تعريف الكلام:** ويعني القول، ويتمثّل فيما يتلفّظ به المتحدّث سـواء كان الكلام أو القول حرفا أو جملة، أو هو كل لفظ نطق به الإنسان أفاد أو لم يفد، فإذا كان الكلام أو القول مرادفا للجملة في

نظر ابن جني فإنه من منظر التداولية يختلف عن الجملة (المسند والمسند إليه)، يحدّد **بنفنست** القول على أنه ذلك الفعل الناتج ضمن ظروف وأحوال سياقية، وحتى يعالج لا بدّ من دراسة تلك الأحوال التي شـكّلته، واعتبار القول أعمّ من الجملة يقتضـي أن تكون دلالة القول متجاوزة لدلالة الجملة.

**2.2 تعريف الملفوظ:**

تتفق التعريفات على اعتبار الملفوظ جملة مفعّلة أو محقّقة أو متوالية من الجمل. فالملفوظ (l'énoncé) تتابع من الجمل المحقّقة؛ أي كل ما يتلفّظ له الإنسـان منطوقا أو مكتوبا، (غريماس وكورتيس) أو جملة تفعيلية (لاينز) أو متوالية من الجمل مدروسة في اللغة، أو متوالية من الجمل التفعيلية Séquence de phrases actualisée، أو هي وحدة تحويلية جملية Unité transphrasique، متوالية مبنينة من الجمل، التي يمكن ملاحظتها سواء في اللغة أو الكلام.

**3.2 تعريف التلفُّظ (أو فعل القول):**

أ- **تعريف بنفنست:** فعل القول هو تحريك اللغة بواسطة فعل فردي استعمالي.

**ب-تعريف ديكرو وأنسكمبر:** فعل القول سيكون بالنسبة لنا نشاط لغوي ممارس من طرف المتكلّم في الوقت الذي يتكلّم فيه" [ولكن أيضا من طرف الذي يسمع في الوقت الذي يسمع فيه].

**ت-تعريف غريماس وكورتيس:** التلفُّظ هو **العملية ذاتها لإنتاج الملفوظ، فيجب الفصـل بين الفعل ونتيجة الفعل.**

نقول إذن إن فعل القول، من الناحية الجوهرية مجموعة الظواهر التي يمكن ملاحظتها حينما تشتغل خلال فعل تواصلي خاص، مجموعة العناصر التي وضعنا خطاطتها آنفا.

ولكن أنسـكمبر وديكرو يضـيفان كما يلي: يكون فعل القول إذن من خلال الماهية التاريخية، الظاهراتية، ولهذا، لا يتوالد أبدا مرتين مماثلا لنفسه.

**3- علاقة التلفُّظ بالملفوظ:**

يعتبر غريماس وكورتيس أن تحدّد الملفوظ يكون ضمن إنّية من التلفُّظ عن طريق تحديد العناصر المنتمية إلى اللغة وتتغيّر دلالتها من كلام إلى آخر مثل أنا، أنت، هنا، الآن...، وهي ضـمائر الشـخص وضـمائر الملكية، الصـفات والظروف، والمبهمات الزمانية والمكانية. والمعروفة بالموجّهات؛ حيث ترى التداولية أن هذه الموجّهات تساهم في دلالة الجمل فتتجاوز الدلالة الملموسة المباشرة التي تقدّمها الوحدات المعجمية في علاقتها مع بعضها إلى دلالات ضمنية يمكن التوصل إليها من خلال الاستلزامات الحوارية، وتقتضي استحضار مكوّنات أخرى سياقية داخلية وخارجية تمكّن المتلقي من الانتقال من الدلالة الطبيعية إلى الدلالة غير الطبيعية. فالكلام بالنسـبة إليها أكبر من أن يكون مجرّد تطبيق خالص للسـان، فهو توظيف لشفرات غير لسانية إلى جانب الشفرات اللسانية من أجل توليد مؤشرات تربط الجسور بين الدلالة المجرّدة في الملفوظ الملموس بالدلالة الضمنية التي ترتبط بسياق التلفّظ.

تقابل الملفوظية الملفوظ بالمعنى الأكثر شيوعاً لهذه العبارة، مثلما تقابل صناعة الشيء، الشيء المصنوع وهي فعل الاستخدام الفردي للسان، بينما الملفوظ يعني نتيجة هذا الفعل. الملفوظية تتكون من جملة العوامل والأفعال التي تتسبب في إنتاج الملفوظ، بما في ذلك التواصل الذي يشكل حالة خاصة من حالات الملفوظية، وقد أثارت ترسيمة جاكوبسون الشهيرة التي تتحدث عن وظائف اللغة اعتراضات لم تتوقف حدتها إلى الآن.

إن عملية التلفُّظ تعني الوقوف عند عناصر مثل: المبهمات (Les déictiques) كعلامات تشير إلى المتخاطبين (Les interlocuteurs)، والمتكلّم الذي يتدخّل كطرف في العملية التلفظية، أما المستمع كطرف ثان يصبح متكلما بفضل الخاصية التناظرية للخطاب، وبتوافر الشروط أو الظروف التي تتحقق ضمنها العملية التلفظية وهي الزمان والمكان، وبالاستناد إلى بعض الآليات المنظِّمة للخطاب من افتراض مسبق، وأقوال مضمرة، وحجاج، وتأويل وشرح...والتي يلجأ إليها المتكلم عندما يأخذ الكلمة معلنا عن مرتبته كمتكلم منصّبا في القوت ذاته شخصا آخر أمامه، بناء على ذلك يكون تضمين الشخص الآخر مكوّنا أوّليا وضروريا للتلفّظ.

وترى كيربرات أوريكيوني أنَّ الحدود بين القول (الملفوظ) وفعل القول (التلفُّظ) بدءا من الوقت الذي ينتهي فيه إدراك الثاني كغرض لإنتاج الأول، وحيث أن الموضوعات يوجدان انطلاقا من هذا الفعل متقاربين بكيفية خاصة.

تعبّر لوسيل كوديس بكلمات مقاربة عن فكرة مماثلة، تقول في اللحظة التي عدلنا عن اعتبرا فعل القول كفعل إنتاج القول، المشكل الذي يطرح هو اكتشاف قواعد فعل القول، انطلاقا من القول المحقّق، هل توجد بنيات خاصة لفعل القول، عناصر داخل القول كخيط من السدى خفي ولكنه حاضر في النسيج.

**4- علاقة المتكلِّم بالمستمع في نظرية التلفُّظ:**

نقوم بعملية البحث عن المرجعية في التلفّظ، فنصل إلى الموجِّهات التي تحيلنا أحيانا إلى المتكلم وما يحيط به من أحوال؛ حيث يتجلّى المتكلم حينما يكون فاعلا في الخطاب مع توفر علاقة بينه وبين المخاطب. نقول في الحقيقة يتعلق الأمر بنفس الموضوع وأن الاختلاف يتجلى في احتمالية هذا الموضوع: للقول المدرك كموضوع حادث Objet événement تخريج كلي للمتكلم الذي أنتجه، يحلُّ محلَّ مادة القول المنتج، حيث يسجّل المتكلِّم دوما خطابه الأصلي، في نفس الوقت الذي يدرج فيه الآخر بواسطة الأمارات المقولية Marques énonciatives.

فالتلفظ نظرية تتناول بالدراسة بعض العناصر اللغوية التي لا تعرف دلالتها المرجعية إلا من خلال السياق، وتمثل آلية وعملية تحوّل اللغة إلى خطاب، وتتحقق بتوافر ضمائر الشخص، المكان والزمان (هنا والآن)، عناصر لا تحيل إلى شيء في العالم، ولا على أحوال موضوعية في الزمان والمكان، ولكن تحيل إلى إنّية الخطاب الذي ترد فيه، تمكّن المتكلم من إسناد اللغة لصالحه بمجرّد نطقه بلفظة أنا،

وتنصيبه شخصا آخر أمامه يمثل مخاطبه:" **إنه يمكن تحديد التلفظ بالنسبة للغة بوصفه حدث امتلاك للغة، فالمتكلم يمتلك الجهاز الصـوري للغته ويعلن عن موقعه كمتكلم من خلال أمارات خاصـة، لكن بمجرد أن يقوم بذلك يقوم في ذات الوقت بتنصـيب الآخر قبالته أيا كانت درجة الحضـور التي يحوّلها للآخر**".

بهذا الاعتبار يبدو أن المتكلّم ذو مكانة هامة في لسـانيات التلفظ حتى أنه دُعيَ بمتكلم صـانع الأقوال (Le Locuteur-scripteur)، يتدخّل في الخطاب كبعد فيإطار شـروط معيّنة لتحقيقها، وبحاجة ما يكون هو المتكلم ذاته، يقول سابير:" المتكلم والسامع مندمجان في شخص واحد، ويمكن أن يقال بأنه ينقل الأفكار إلى نفسـه". تحيط بالمتكلم والسـامع مكوّنات مثل الزمان والمكان، والسـياق لتشـكل ما دعاه بنفنسـت بالجهاز الصـوري للتلفظ، وعودة المتكلم إلى هذا الجهاز يعني أن يعلن عن نفسـه كما يعلن عن شخص آخر يتحدّث إليه.

يعتبر المتكلم والسـامع جزئين من الوضـعية التلفظية (Situation d'énonciation)، حيث يقيم المتكلم علاقة مع مخاطبه وكذلك مع ملفوظه، ويتجسّـد ذلك في الأحداث الكلامية، والشـيء الغالب في هذه الأحداث أنها تسـمح للمتكلم بأن يخص نفسـه بالحديث، وينظّم حوله المعطيات المكانية والزمانية أو ما يدعى مجموع الحيّز التخاطبي (L'espace discursif).

**5- المرجعية:**

من الواضـح أن الواقع الخارجي مرتبط بتجربة الأشـخاص الخاصـة، يقول جورج مونان:" إن اللغة في ذاتها هي مجموعة من البنى والأشـكال يرتبط وجودها بتجربة المتخاطبين بالعالم ". فالوظيفة المرجعية للغة هي التي تحدّد أبعاد الخطاب الحقيقية، وتكتسـب مشـروعيتها حينما تتطابق العلامات مع الواقع الخارجي.

يتلقى المخاطَب علامات لغته أو لغة أخرى ويؤولها عن طريق إرجاعها إلى عالمها الحقيقي أي انطلاقا مما يقوله المتكلم عن نفسـه وعن الآخرين، وليكون قادرا على ترجمة خطابات المتكلم ينبغي أن يشاركه في الوضع، أي اللغة التي يتحدّثان بها، وأن يملك خلفيات مسبقة عن موضوع الحديث.

وأن يعتمد الفرد في مجتمعه على المرجع يعني أن يخضع للسلوك الجمعي، وللأخلاق، للمعطيات الثقافية...فهو حين استعماله للغة بوظيفتها المرجعية يعطي للخطاب أو الحديث بعده الحقيقي في التأدية. أما الكلام فيتوقف على مدى مطابقة العلامات والأحاديث للواقع مثلما تتدخل المواضـعة كشـرط لفهم العلامات اللغوية كونها كما تقول أوريكيوني " مجموعة من الاتفاقيات والعقود الضـمنية التي بها يشـارك أفراد مجموعة لسانية ليتكوّن النمط اللغوي ". ومن الممكن اعتبارها مرجعا يستند إليه الإنسان في علاقاته مع بني البشر.

بهذا المفهوم تعتبر المرجعية القاعدة الأساس لكل اتصـال وتواصـل، فهي التي تحدّد العلاقة بين الملفوظ والمرجع؛ أي مجموع الآليات التي تصل بعض الوحدات اللغوية ببعض الوحدات من الحقيقة غير

اللغوية بمفهوم أوركيوني، بينما لا يحدّد ديكرو المرجعية إلا من حيث ناحية الترميز وفك الرموز الذي يقوم فيه الإدراك الأكوستيكي أو المرئيس للدال بتوجيه المتلقي إلى نوع من المدلول الذي يتحدّد بفضل الكفاية وتمكن المتكلم في علم المفردات، والمدلول باعتباره أصغر الوحدات اللغوية المجرّدة Sens abstrait يقوم هو كذلك بتحديد المرجع الملائم.

يوظف الفاعل في الخطاب ثلاثة أنواع من الآليات المرجعية: **المرجعية المطلقة، المرجعية المنسوبة إلى السياق، والمرجعية المنسوبة لحال التخاطب أو الضمائر.**

- **المرجعية المطلقة:** الحديث عنها في حال ما يستلزم لتعيين شيء معيّن، الرجوع إلى الشيء ذاته دون المعطيات اللاحقة.
- **المرجعية المنسوبة إلى سياق:** عندما نقول مثلا أخت محمد فلتعيين محمد يستلزم على المتكلم أن يعود إضافة إلى محمد ذاته شخص آخر، وهو أخته، كعامل مرجعي. إن الدال أخت لم يرتبط بصفة مطلقة بـ محمد مادام يمكن تعيين هذا الأخير بطريقة بديلة مثل ابنه عمر، خالة سليم...
- **المرجعية المنسوبة إلى الحالة:** إن الشخص ذاته يمكن أن يعين بواسطة الضمائر: أنت، أنا...أنا محمد، هو أحمد...فاختيار الوحدة الدالة الملائمة لتأويلها يتحقّق عندما تؤخذ حال الخطاب بعين الاعتبار أي الدور الذي يؤديه الشخص (متكلم، مخاطب، شخص متحدث عن)، ويمكن أن ندعوها بالمرجعية الضميرية Référence déictique.